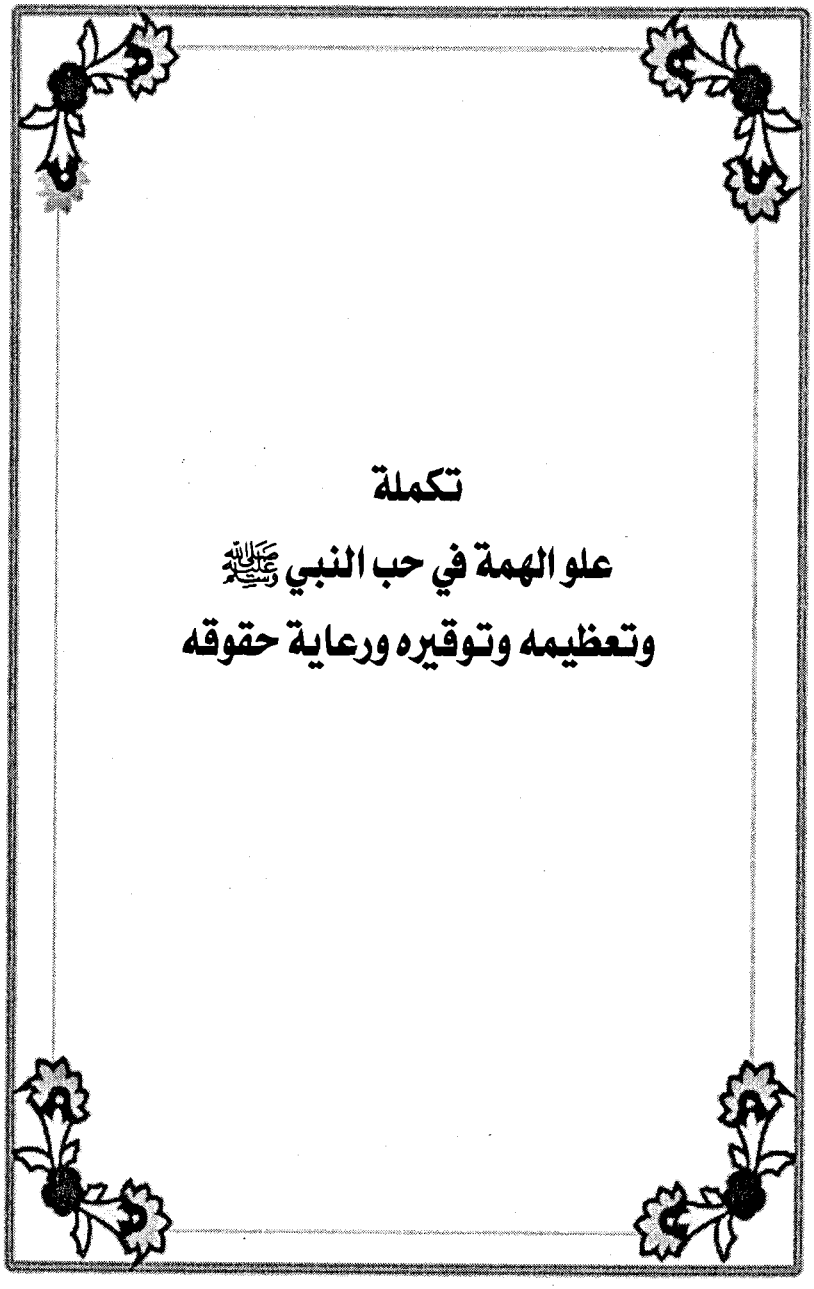

تكملة

علو الهمة في حب النبي ﷺ

وتعظيمه وتوقيره ورعاية حقوقه

تكملة علو الهمة في حب النبي ﷺ وتعظيمه وتوقيره ورعاية حقوقه

علو الهمة في تعزيره وتوقيره وتعظيمه:

أعطى الله عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ أعلى مكانة وأعظمها وأشرفها في الداريْن، وخصّه بخصائص أفرده بها دون سائر البشر، وجعله سيد الأولين والآخرين.. بأبي هو وأمي.

□ قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أعطى الله نبيًّا ما أعطى محمدًا ﷺ»[١].

□ وقال السيوطي: «قال العلماء ما أُوتِي نبي معجزة ولا فضيلة إلَّا ولنبينا ﷺ نظيرها وأعظم منها»[٢].

يا أيها الكاتبون عن حبيبي!!

اجمعوا وأنتم تكتبون بين عبير الفكر.. ورحيق الزهر.. وروعة البيان.. وسحر اللسان.. فإن حبيبي سيد الأنام.

سماحة نفْسٍ كرَوْح الصَّبا.. ورِقَّةُ طبع كعهدِ الصِّبَا.. وحُسْنُ بيان كزهر الرُّبَا.. وروعةُ خَلْق كبيض الظبا.. فمن ذا يساميه في العالمين؟! لأي النواحي يفيه المقال؟! وقدْ جمَّع الله فيه الكمال.. وألَّف فيه فنون الجمال.. وألْقى عليه رداء الجلال.. ففاق الملائك روحًا ونفسًا. ورقَّت حواشيه لُطفًا وأنسًا.. وحاز الكمالات طُهْرًا وقُدْسًا.. فمن ذا يقول؟! ومن ذا يبين؟!

فيا أيها الكاتبون! املؤوا القلب ببرد اليقين!.. وأطلقوا الأشواق في

---

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم (ص٨٣).

(٢) «الخصائص الكبرىٰ» للسيوطي (٢/ ٣٠٤).

الآفاق.. وأنطقوا الأكوان بالأشواق.. فلغة الحب أقوى[١].

□ الدخول إلى هذا الجنان والرحاب الأطهر الأنور يحتاج إلى عُمْر جديد، أوَّل نَفَسٍ منه حتى آخرِه ملؤه الطهارةُ كلُّ الطهارة.. ونور الإيمان الغامر، وجمال الإحسان الباهر.. وأفق وضيء طليق مرفرف، نَرِفُّ بأجنحة الشوق والنور والطُّهْر إلى ذلك المقام الأعلى، ونتخذ من ذلك معراجًا إلى السِّراج المنير والقلب المصفّى لسيد الرسل، وأزكى العالمين، وأحبِّ الرجال، وأجلِّهم وأفضلِهم وأعلاهم.

□ الدخول إلى هذا الجناب والرحاب المُصَفَّى يحتاج إلى قلب حي كأجمل ما تكون القلوب.. رقيق ليِّن صافٍ.. تَنبضُ فيه كل نابضة بالإشراق والتفتحِ لاستقبال النور الذي يشرق في الضمائر مع النور الذي يُشرق في النواظِر.

□ الحديث عن هذا الحبيب الغالي ﷺ يحتاج إلى خَطَرات رفَّافة شفَّافة، وأعماقٍ طاهرةٍ كلَّ الطُّهر تستجيش فيها وفي أغوارها كلُّ مشاعر الطُّهرِ اللامتناهية.

□ الحديث عن الطاهر والطيِّب المطيَّب يحتاج إلى كل رُوح مأنوسة شفيقة، يحتاج إلى إيناس ودودٍ نَدِيٍّ، وأنفاس مناجاة دامعة.. فيها كلُّ ذبول العبادة الوضيء وجمالها الحبيب الهامس اللطيف.. جمال لا يدانيه جمال التصوُّرَات الشاعرية الطليقة.. نحتاج لنتكلم عن الطيِّب الذي طابت من آثار طيب رسالته الحياة.. نحتاج إلى كُلِّ طيب في الجنة قبل

---

(١) «السيرة بلغة الحب والشعر» للأستاذ سعيد حوّىٰ (ص٨- ٩)- طبع دار السلام.

الدنيا كل مسكٍ أذفر، وكلُّ طيوب العنبر.. كل بريق الماس واللآلئ وأصفى الدر والجواهر.

□ نحتاج حين نتكلم عن الحبيب العظيم ﷺ إلى كل جمالٍ في الكون.. نسائم الأسحار، وزجل المسبِّحين آناء الليل وأطراف النهار، وطُهر المستغفرين الأبرار قائمي الليل وصائمي النهار.. نحتاج إلى آهات المشتاقين الطاهرين.. كل طُهْر وطُمأنينة في الكونُ ويقين.. كل رُوح فجر وضيئة.

□ نحتاج إلى غمس القلم في مدادٍ نير طاهر يُغمس في كل الجمال والنور.. جمال كل هامسٍ وكل جاهر، وكل مُسْتَخْفٍ وكل سارب.. نحتاج إلى كلام من نورٍ عليه رَوْنق الماء، كأنما اشتعلت به الغيوم، كلام يتلألأ بالنور، كأنما عُصِر من النُّجوم.

نقترب في حياء من يعلم أنه يجاوز قدره..

أَمِنَ الحضيضِ أُريدُ لَمْسًا ... جَلَّ المقامُ فلا يُطالُ مُقامُ

يا ملءَ روحي وَهْج حُبِّكَ في دمِي ... قَبَسٌ يُضيء سريرتي وزمَامُ

نقترب في تهلُّل، لنعيش لحظات مترعة بغبطة الحياة حين نتكلم عن توقير وتعظيم وتعزير السراج المنير.. وحامل النور إلى هذه البسيطة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾[الأحزاب].

* قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة].

□ قال الطبري: «يعني بالنور محمَّدًا ﷺ الذي أنار الله به الحقَّ،

وأظهر به الإسلام، ومحقَ به الشرك، فهو نور لمن استنار به»[(١)].

فأي عبارات تليق بمقام النبوة؟!! وتتأب مع جلالها؟!

حـروفُ معـانٍ أو عقـودُ جـواهرِ ... تُحاكي مصابيح النجـوم الزواهـر
وإبريزُ تبريـزٍ مـن الـنَّظْم فُتِّحـتْ ... قوافيـه زهْـرًا في ريـاض الـدَّفاتِرِ
يروح بـأرواح المحامـدِ حُـسْنُها ... فيَرْقَـى بهـا في سـامياتِ المفـاخِرِ
إذا ما هداها الفكرُ أَهْدَت لذي النُّهَى ... شمائلَ أشهى من طُيوب المَعاصَر
تشعشع مـن نـورِ المعـاني عنايـةً ... بها تُضَربُ الأمثال بـين المعاشـر
وتـنظِمُ مـن نَثْـر المثـاني قلائـدًا ... تُزَخْرف جِيْدَ الجُودِ من كُلِّ فاخِرِ
وتنشر مـن طَـيِّ المـروءةِ للفتـى ... مكـارمَ أخـلاقٍ وحُـسْنَ سـرائِرِ
إذا سَـتَروها بالحِجـاب تبرَّجـتْ ... محاسـنُ تبـدو مـن وراء الـستائِرِ
وإنْ فُضَّ في الأكوان مِسْكُ ختامها ... تَعَطَّـرَ منهـا كُـلُّ نَجْـدٍ وغـائِرِ
تخَيَّرتهـــا لله اشـــميِّ محمَّـــدٍ ... حميد المساعي خيـر بـادٍ وحاضِـرِ
هـدانا الـصراط المـستقيمَ بهدْيـه ... وأَورَى بنور الحـقِّ نـورَ البـصائِرِ

تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ:

* قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح].

* وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٢٦٤)- طبع دار هجر.

□ قال صاحب «معجم مقاييس اللغة عن أصل كلمة التعزير» عزر العين، والزاء، والراء كلمتان، أحدهما: التعظيم والنصر. والكلمة الأخرى: جنس من الضرب. فالأُولى: النصر والتوقير كقوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾.

والأصل الآخر: التعزير وهو الضرب دون الحَدِّ»[١].

□ وفي «النهاية في غريب الحديث»: «أصل التعزير: المنع والرد، فكأنَّ من نصرته قد ردت عنه أعداءه ومنعتهم مِن أذاه.

ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحدِّ تعزير؛ لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب، يقال عَزَرْته، وعَزَّرْته. فهو من الأضداد»[٢].

□ عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ «حَمَوه ووقّروه»[٣].

□ وعن مجاهد قال: «عزروه: سدَّدوا أمره، وأعانوا رسوله ونصروه»[٤].

□ وعن قتادة قال: «ينصروه»[٥].

□ وقال الطبري: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: «وقروه وعظموه وحموه من الناس»[٦].

□ وقال أيضًا بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة «وهذه

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٣١١)- لابن فارس- تحقيق عبد السلام هارون- طبع مصطفىٰ الحلبي.
(٢) «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٢٢٨).
(٣) «تفسير الطبري» (٩/ ٨٥).
(٤) «تفسير الطبري» (٩/ ٨٥).
(٥) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٥).
(٦) المصدر السابق (٩/ ٨٥).

الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها. ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصر والمعونة، ولا يكون ذلك إلَّا بالطاعة والتعظيم والإجلال»[١].

□ وقال شيخ الإسلام: «التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كلِّ ما يؤذيه»[٢].

(ب) وأما عن التوقير:

ففي «معجم مقاييس اللغة» «وقر» الواو والقاف. والراء: أصل يدلُّ على ثقل في الشيء. ومنه الوقار: الحلم والرزانة»[٣].

وفي «تهذيب اللغة»: وقر الرجل من الوقار، يقر، فهو وقور.

ووقرت الرجل: إذا عظمته ومنه قوله ﷻ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[٤].

وفي «لسان العرب»: «وقر الرجل: بَجَّله، والتوقير: التعظيم والترزين»[٥].

وأما المعنى الشرعي المراد هنا:

□ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ويوقِّروه»، يعني: «التعظيم»[٦].

□ وقال قتادة: «ويوقروه»: «أمر الله بتسويده وتفخيمه»[٧].

---

(١) المصدر السابق (٢٦/ ٧٥).

(٢) «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص٤٢٢).

(٣) «معجم مقاييس اللغة» (٦/ ١٣٢).

(٤) «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٨٠).

(٥) «لسان العرب» (٥/ ٢٩١).

(٦) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٤).

(٧) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٤).

□ وقال أيضًا: «ويوقروه»: «أيْ: ليعظموه»[١].

□ وقال ابن جرير الطبري: «فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم»[٢].

□ وقال ابن تيمية: «التوقير: اسم جامع لكلِّ ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يُعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حدِّ الوقار»[٣].

□ وقال ابن كثير: «التوقير: هو الاحترام والإجلال والإعظام»[٤].

□ وإن تعظيم النبي ﷺ وإجلاله، وتوقيره، شُعبة عظيمة من شُعب الإيمان، وهذه الشُعْبة غير شعبة المحبَّة[٥]، بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة، ذلك لأنه ليس كل مُحَبٍّ مُعظِّم، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبّه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه. والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم. والسيد قد يحبُّ مماليكه ولكنه لا يُعظِّمهم. والمماليك يُحبُّون ساداتهم ويُعظِّمونهم. فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رُتبة المحبّة»[٦].

* قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٥).
(٢) المصدر السابق (٢٦/ ٧٥).
(٣) «الصارم المسلول» (ص٤٢٢).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٨٥).
(٥) انظر: «المنهاج في شعب الحليمي» (٢/ ١٢٤)- الشعبة الخامسة عشرة و«الجامع في شعب الإيمان» للبيهقي (١/ ٣٠٠)- الشعبة الخامسة عشرة.
(٦) «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (٢/ ١٢٤).

أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف]. فأبان أن حق الرسول ﷺ في أُمَّته أن يكون معزرًا موقَّرًا مهيبًا.

وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف في أن التعزير هنا التعظيم (١).

وفي الجمع الحاصل في الآيتيْن بين الإيمان به وتعظيمه، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه ﷺ يُعَدُّ من الإيمان الواجب الذي لا يتمُّ إيمان العبد إلَّا به.

□ قال الحليمي (٢): «فمعلوم أن حقوق رسول الله ﷺ أجلُّ وأعظمُ وأكرمُ وألزمُ لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم؛ لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدَّانا إلى جنّات النعيم. فأيُّ نعمة توازي هذه النِّعم وأيَّةُ مِنَّة تُداني هذه المنن.

ثم أنه جلَّ ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعَّدنا على معصيته بالنار، ووعدنا باتباعه الجنة.

فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العُلَا هذه الدرجة. فحقٌّ علينا أن نحبَّه ونجلَّه ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده. وبمثل هذا نطق القرآن ووردت

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٢٥).

(٢) الحليمي: هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، فقيه شافعي، قاضي كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. توفىٰ في بخارىٰ سنة ٤٠٣هـ وله كتاب «المنهاج في شعب الإيمان».

أوامر الله جل ثناؤه»[١]،[٢].

□ وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه وبخاصة في جوانب مُعيَّنة من جوانب تعظيمه، ومن تلك الآيات.

* قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

«ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعو رسول الله بغلظ وجفاء، وأمرٌ لهم أن يدعوه بلينٍ وتواضع»[٣].

□ قال مجاهد: «أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد في تجهم»[٤].

□ وعن قتادة قال: «أمرهم أن يفخِّموه ويُشرِّفوه»[٥].

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «خصّ الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهى أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]،

---

(١) «المنهاج في شعب الإيمان» (٢/ ١٢٤- ١٢٥)، «والجامع لشعب الإيمان» (١/ ٣٠٢- ٣٠٣).

(٢) «حقوق النبي ﷺ على أمته» (ص٤٠٤- ٤٠٥) للدكتور محمد خليفة التميمي.

(٣) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٧٧).

(٤) الهامش السابق.

(٥) الهامش السابق.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ [التحريم: ١]، ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾ [المزمل]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾ [المدثر]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

مع أنه سبحانه قال: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾ [هود: ٤٦]، ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ ﴾ [هود: ٧٦]، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ [المائدة: ١١٠]»[1].

□ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كُنَّا في باب العبارة عن النبي ﷺ علينا أن نُفَرِّق بين مخاطبته والإخبار عنه.

فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدَّب بآداب الله حيث قال: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ [النور: ٦٣]، فلا تقول: يا محمد يا أحمد، كما يدعو بعضنا بعضًا، بل نقول: يا رسول الله، يا نبي الله، والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه]، ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ولما خاطبه ﷺ قال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٤٢٢- ٤٢٣).

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١].. فنحن أحق أن نتأدَّب في دعائه وخِطابه.

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا: «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»، وقلنا محمد رسول الله وخاتم النبيين، فنخبر عنه باسمه كما أخبر سبحانه لما أخبر عنه ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢]، فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل»[1].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات].

□ قال ابن كثير: «أي لا تُسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور.

لقد تأدّب الصحابة مع ربهم ومع رسولهم ﷺ، فما عاد بعد نزول هذه الآية مقترح منهم يقترح على الله ورسوله، وما عاد واحد منهم يُدلي إن برأيه لم يطلب منه رسول الله ﷺ أن يُدلي به، وما عاد أحد يقضي برأيه في أمرٍ أو حُكم إلَّا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول النبي ﷺ.

حتى كان الرسول ﷺ يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه، وهم يعلمونه حقَّ العلم، فيتحرَّجون أن يُجيبوا إلَّا بقولهم: الله

(١) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٢٩٧، ٢٩٨).

ورسوله أعلم، خشية أن يكون في قولهم تقدُّمٌ بين يدي الله ورسوله.

• ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة نُفيْع بن الحارث الثقفي ﷺ أن النبي ﷺ سأل في حجة الوداع: «**أي شهر هذا؟**».. قلنا: الله ورسوله أعلم. حتى ظننا أنه سيُسمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس ذو الحِجَّة؟**»، قلنا: بلى، قال: «**فأي بلدٍ هذا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سَيسمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس البلدة؟**». قلنا: بلى. قال: «**فأي يوم هذا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظنَنَّا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أليس يوم النحر؟**». قلنا: بلى.. الحديث..»[(١)].

* وكما سيأتي في «علو الهمة في الأدب» حُرِّم رفْع الصوت فوق صوت النبي وأن يُجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات].

□ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع صوت رجُلَيْن في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: «أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: مِن أين أنتما؟ قالا من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا»[(٢)].

□ والمراد بقوله: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ أنه إذا نطق

---

(١) أخرجه البخاري (٨/١٠٠٨) (ح٤٤٠٦)- كتاب المغازي- باب حجة الوداع.

(٢) أخرجه البخاري -كتاب الصلاة- باب رفع الصوت في المسجد (١/ ٥٦٠) (ح٤٧٠).

ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدِّ الذي يبلغه بصوته وأن تغضُّوا منها بحيث يكون كلامه عاليًا لكلامكم، وجهره باهرًا لجهركم، حتى تكون ميزته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، لا أن تغمروا صوته بلغطكم، وتبهروا منطقه بصخبكم؛ لأن في هذا خلوٌّ عن مراعاة أُبَّهَة النبوَّة، وجلالة مقدارها، وانحطاط الرتب وإنْ جلَّتْ عن رتبتها.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

فالله تعالى من تعظيمه لنبيه ﷺ حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين أذاه وأذى المؤمنين، فأوجب على من أذى النبي ﷺ اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من أذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير.

بينما حكم على من أذى المؤمنين بالبهتان والإثم، والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي ﷺ وحق غيره.

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من أذى النبي ﷺ ودلالتها من وجوه.

أحدها: أنه قرن آذاه بآذاه كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصًا عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم.

* بين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئًا واحدًا فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ

وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤].

* وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ في مواضع متعددة.

* وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢]. فوحد الضمير، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء الله فيه إرضاء للرسول وإرضاء الرسول فيه إرضاء لله.

* وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠].

* وقال أيضًا: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ ﴾ [الأنفال: ١].

* وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله وأذى الله ورسوله ومعصية والله رسوله شيئًا واحدًا، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٣].

* وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [المجادلة: ٢٠].

* وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [التوبة: ٦٣].

* وقال: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [النساء: ١٤].

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله؛ لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلَّا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيءٍ من هذه الأمور.

وثانيها: أنه فرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم فيه الجلد، وليس فوق ذلك إلَّا الكفر والقتل.

الثالث: أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينًا، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده من رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلَّا كافر، فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات ولا يكون مباح الدم؛ لأن حقن الدم رحمة عظيمة من الله، فلا تثبت في حقه..[1].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة].

□ قال بعض المفسرين: «هي لغة كانت في الأنصار، نهوا عن قولها تعظيمًا للنبي ﷺ وتبجيلًا له؛ لأن معناها ارعنا نرعك، فنهوا عن قولها، إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلَّا برعايته لهم، بل حقه أن يرعى على كل حال.

وقيل: كانت اليهود تعرض بها للنبي ﷺ بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعًا للذريعة، ومنعًا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا»[2].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٤٠- ٤١).

(٢) «الصارم المسلول» (ص٥٩- ٦٠).

أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب].

ففي هذه الآية حرم الله على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده؛ لأن ذلك يؤذيه، وجعله عظيمًا عند الله تعظيمًا لحرمته ﷺ، فحرم تعالى على الأمة ما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضًا، وذلك تميزًا لنبيه ﷺ وتعظيمًا لشأنه.

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت لما قال بعض الناس: «لو قد توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة»[(١)].

ولو أن أحدًا أقدم على هذا الأمر فنكح أزواجه أو سراريه لكانت عقوبته في الشرع هي القتل جزاء له بما انتهك من حرمته والدليل على ذلك ما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعلي: «**اذهب فاضرب عنقه**»، فأتاه علي فإذا هو في ركي [(٢)] يتبرد فيها، فقال له علي: أخرج فناوله يده فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف عليّ عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه مجبوب ما له ذكر»[(٣)].

□ قال ابن تيمية رحمه الله: «فهذا الرجل أمر النبي ﷺ بضرب عنقه لما قد استحل من حرمته، ولم يأمر بإقامة حد الزنا؛ لأن إقامة حد الزنا ليس هو ضرب الرقبة، بل إن كان محصنًا رجم، وإن كان غير محصن جلد، ولا يقام عليه الحد إلَّا بأربعة شهداء أو بالإقرار المعتبر فلما أمر النبي

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٤٢٣).

(٢) الركي: جنس للركية، هي البئر، وجمعها ركايا «النهاية» (٢/ ٢٦١).

(٣) «صحيح مسلم» كتاب التوبة، باب برائة حرم النبي ﷺ من الريبة (٨/ ١١٩).

ﷺ بضرب عنقه من غير تفصيل بين أن يكون محصنًا أو غير محصن علم أن قتله لما انتهكه من حرمته.. فلما تبين أنه كان مجبوب علم أن المفسدة مأمونة منه..»[١].

وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد أوجب الله على الأمة احترام أزواج النبي ﷺ وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام[٢].

* فقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦]. ففي هذه الآية رفع الله مقام أزواج النبي ﷺ وبوأهن منزلة عالية، وهي منزلة الأمومة لجميع المؤمنين، وفي ذلك من الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ما يوجب على كل مسلم أن يحفظ لهن هذا الحق ويؤديه على الوجه المطلوب منه شرعًا.

وهذه المنزلة لأمهات المؤمنين هي من التشريف والتعظيم الذي أعطاه الله للنبي ﷺ.

تعظيم الصحابة للنبي ﷺ في حياته:

الصحابة رضي الله عنهم هم أعلم الأمة بالنبي ﷺ؛ ولذلك فقد كانوا بقدره ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم. وكان تعظيمهم وتوقيرهم للنبي ﷺ أشد وأكبر من غيرهم.

وقد أوردت كتب السنة والتفسير وغيرها صورًا متعددة من ذلك التعظيم والتوقير الذي كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي ﷺ.

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٥٩- ٦٠).
(٢) المصدر السابق (ص٤٢٣).

توقير ذي النورين «عثمان بن عفان» رضي الله عنه:

في الحديبية أرسل رسولُ الله ﷺ عثمَانَ رضي الله عنه إلى قريش، ليخبرَهم أنه لم يأتِ ومَن معه لقتال، وإنمَا جاؤوا عُمَّارًا.

انطلق عثمَانُ، وبلَّغ رسالةَ رسولِ الله ﷺ، ولمَّا رجع عثمَانُ قال المسلمون: هنيئًا -أبا عبد الله-، لقد اشتَفيتَ من الطواف بالبيت. فقال: بِئسمَا ظننتم بي، والذي نفسي بيدِه، لو مكثتُ بها سنةً ورسولُ الله ﷺ بالحُديبية، ما طُفتُ بها حتى يطوفَ رسولُ الله ﷺ، ولقد دعتني قريشٌ إلى الطواف بالبيت فأبيت[1].

توقير المغيرة بن شعبة رضي الله عنه للنبي ﷺ:

• قال الصحابي الجليل أبو عيسى المغيرة بن شعبة: «بَعَثَت قريشٌ عامَ الحديبية عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ ليُكَلِّمَه. فأتاه، فكَلَّمه، وجعلَ يَمَسُّ لحيتَه، وأنا قائمٌ على رأس رسول الله ﷺ مُقَنَّعٌ في الحديد، فقال المغيرة لِعُروة: كُفَّ يدك قبل أن لا تصلَ إليك، فقال: مَن ذا يا محمد؟ ما أَفَظَّهُ وأغلَظَه. قال: «**ابنُ أخيك**»، فقال: يا غُدَّر، والله ما غسلتُ عني سَوْءَتَكَ إلَّا بالأمس[2]»[3].

ومن أبلغ ما قيل في وصف هذا التعظيم ما قاله عروة بن مسعود.

---

(١) «نفح الطيب من محبة الحبيب ﷺ..» للشيخ عليٍّ القرْني.

(٢) قال ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٣١٣): «أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، فتهايج الحيَّان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودىٰ عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢١ - ٣٢).

حين وجهتهم قريش إلى رسول الله ﷺ ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلَّا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقًا، ولا ينتخم نخامة إلَّا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجساده، ولا تسقط منه شعرة إلَّا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمرٍ ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له.

فلما رجع إلى قريش قال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن انتخم نخامة إلَّا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له..[(١)].

□ وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير..» الحديث[(٢)].

□ وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير..» الحديث[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، كتابة الشروط. انظر: «فتح الباري» (٥/ ٣٢٩، ٣٣١).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» - كتاب الطب، باب في الرجل يتداوىٰ (ح٣٨٥٥)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٧) وأخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر (١/ ٤٩٤) (ح١٥٤٩).

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال: «**إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض**»، ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى بالأخرى، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟

فسكت عنه النبي ﷺ، قلنا: يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير.. الحديث [(١)].

فالشاهد من الآثار الثلاثة المتقدمة قولهم: كأن على رؤوسهم الطير، فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيًا وإجلالًا له صلوات الله وسلامه عليه، فلم يكن من عادة الصحابة ﷺ أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يعلوا أصواتهم بنقاش أو حوار بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام وعن بريدة ابن الحصيب ﷺ [(٢)] قال: «كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظامًا له» [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله. انظر «فتح الباري» (٦/ ٤٨، ٤٩) (ح٢٨٤٢).

(٢) بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، قيل: أنه أسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجرًا، وقيل: أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر، وفي «الصحيحين» عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، وأخباره كثيرة ومناقبة مشهورة، مات سنة ثلاث وستين. «الإصابة» (١/ ١٥٠).

(٣) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى»، باب توقير العالم والعلم (ص٣٨١) (ح٦٥٨).

علو همة عمرو بن العاص في توقير النبي ﷺ:

□ وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه»[(١)].

علو همة حَبْر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

• وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «قام رسول الله ﷺ يصلي من الليل، قال: فقمت وتوضأت أصلي خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست [(٢)] فقمت خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست فقمت خلفه، فانصرف رسول الله ﷺ فقال: «**ما لي كلما جعلتك حذائي خنست؟**».

قال: فقلت له: لا ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله.

قال: فدعا الله أن يزيدني فهمًا وعلمًا»[(٣)].

□ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن أبواب النبي ﷺ كانت تُقرَع بالأظافير»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١/ ٧٨).

(٢) خنست: أي انقبضت وتأخرت. «النهاية» (٢/ ٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٣٠)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٣٤)، وقال: حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، باب شعبة تعظيم النبي ﷺ (١/ ٣٢٠، ٣٢١) (ح١٢٩).

(٤) رواه البزار في «كشف الأستار» (٢/ ٤٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» باب شعبة تعظيم النبي ﷺ (١/ ٣٣٨) (ح١٣٤).

□ وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافير»[(١)].

□ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس معنا في المسجد يحدثنا فإذا قام، قمنا حتى نراه، وقد دخل بعض بيوت أزواجه..» الحديث[(٢)].

□ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر فذكر الحديث في الأسارى وذكر قول عمر في قتلهم، فقال ابن مسعود قلت: يا رسول الله إلَّا سهل[(٣)] بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث النوع الخامس» (ص١٩). وأخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص٣٨١). وقال السخاوي في «فتح المغيث» (١/ ١١٧): الحديث أخرجه الحاكم في علومه، وكذا في «الأمالي» كما عزاه إليهما البيهقي في «المدخل» حيث أخرجه عن راو، ورواه أبو نعيم في «المستخرج على علوم الحديث» له – أي: الحاكم- عن راو آخر كلاهما عن أحمد بن عمرو (كذا) الزيبقي عن زكريا بن يحيى المنقري، عن الأصمعي، عن كيسان مولى هشام بن حسان، وفي رواية الآخرين، عن محمد بن حسان زاد البيهقي وهو أخو هشام بن حسان وهو حسن الحديث. انتهى قول السخاوي.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ (٥/ ١٣٣، ١٣٤) (ح٤٧٧٣). وأخرجه النسائي في «سننه»، في القسامة، باب القود، من الجندة (٨/ ٣٣، ٣٤). وأخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص٤٠١) (ح٧١٧).

(٣) سهل بن بيضاء القرشي، وبيضاء أمه واسمها دعد واسم أبيه وهب بن ربيعة بن هلال القرشي، كان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، أسلم بمكة فكتم إسلامه فأخرجته قريش إلى بدر فأسر يومئذٍ فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلي بمكة فأطلق ومات بالمدينة. «الإصابة» (٢/ ٨٤).

فما رأيتني في يوم بدر أخوف أن تقع على حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ إلَّا سهل بن بيضاء»[١].

□ وعن أبي رمثة[٢] قال: «قدمت المدينة ولم أكن رأيت رسول الله ﷺ فخرج وعليه ثوبان أخضران فقلت لابني: هذا والله رسول الله ﷺ فجعل ابني يرتعد هيبة لرسول الله ﷺ»[٣].

□ وعن أبي جري جابر بن سليم[٤] قال: «رأيت رجلًا يصدر الناس

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٣). وأخرجه الترمذي في «سننه، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال (٤/ ٣٣٥) (ح٥٠٨٠) وقال: حديث حسن، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٧٧) (ح١٠٢٥٨) بنحوه وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢١- ٢٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٢٥) (ح١٣٠).

(٢) أبو رمثة – بكسر أوله وسكون الميم ثم مثلثة- التيمي اختلف في اسمه فقيل: رفاعة بن يثربي، ويقال: عكسه، ويقال: عمارة بن يثربي، وقيل غير ذلك، له صحبة، ومات بأفريقية. «الإصابة» (٤/ ٧١)، و«تقريب التهذيب» (٤٠٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٦- ٢٢٧- ٢٢٨) بعدة طرق عن لقيط بن إياد عن أبي رمثة به. وأخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب اللباس، باب في الخضرة (٤/ ٣٣٤) (ح٦٤٥/ ٤٠٥). وأخرجه الترمذي في «سننه» كتاب الأدب، باب ما جاء في الثوب الأخضر (٥/ ١١٩) (٢٨١٢). وأخرجه النسائي في «سننه» كتاب الزينة، باب لبس الخضر من الثياب (٨/ ٢٠٤). وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٤٢)، وفي «دلائل النبوة» (١/ ٢٣٧).

(٤) أبو جري – بالتصغير- الهجيمي وأسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر، وقال البخاري الأول أصح، له صحبة وهو من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو ابن تميم. «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٥٤).

عن رأيه لا يقول شيئًا إلَّا صدورًا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ..» الحديث[١].

□ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلَّا في يد رجل»[٢].

□ وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة[٣] أول من أخذ من شعره»[٤].

□ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلَّا غمس يده فيها فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها»[٥].

□ ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى الرسول ﷺ ليشهد في عقد صلح الحديبية ويزيد في المدة، فلما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة، فلما

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»- كتاب اللباس- باب ما جاء في إسبال الإزار (٤/ ٣٤٤) (ح٤٠٨٤) واللفظ له...، وأخرجه الترمذي في «سننه» - كتاب الاستئذان- باب كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئًا وقال: حسن صحيح (٥/ ٧١، ٧٢) (ح٢٧٢١).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٧/ ٧٩).

(٣) اسمه زيد بن سهل.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان. انظر: «فتح الباري» (٣/ ٢٧٣) (ح١٧١).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٧/ ٧٩).

ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟

فقالت: هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه..»[١] فأكرمت فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه رجل مشرك.

□ ولما قدم أبو سفيان مكة بعد ذلك قالت له قريش: «ما وراءك، هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال: لا والله قد أبى علي، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قومًا لملك عليه أطوع منهم له..»[٢].

علو همة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول رضي الله عنه في توقير النبي ﷺ:

ولما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سلول [٣] لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

• قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أبيّ**»[٤] فدعاه،

---

(١) أورده ابن كثير في «البداية» (٤/ ٢٨٠) من طريق ابن إسحاق، وابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٢٩٩، ٣٠٠).

(٢) «البداية» لابن كثير (٤/ ٢٨٢).

(٣) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، رأس المنافقين في الإسلام أظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية، مات بالمدينة سنة تسع من الهجرة. «طبقات ابن سعد» (٣/ ٩٠).

(٤) عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك، وهو ابن عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين الذي تقدمت ترجمته. وكان اسم عبد الله بن عبد الله «الحباب» فسماه النبي ﷺ «عبد الله» وهو صحابي جليل، شهد بدرًا وما بعدها، واستشهد باليمامة في قتال الردة سنة اثنتي عشرة «الإصابة» (٢/ ٣٢٧، ٣٢٨).

فقال: «**ألا ترى ما يقول أبوك؟**». قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: «**يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**»، فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله قد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتيتهما به. فقال رسول الله ﷺ: «**لا**». فلما قدموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أبيّ على بابها بالسيف لأبيه، ثم قال: أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبدًا إلَّا بإذن من الله ورسوله. فقال: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي، يا للخزرج ابني يمنعني بيتي فقال: والله لا تأويه أبدًا إلَّا بإذنٍ منه.

فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلَّا بإذنٍ من الله ورسوله، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه.

فقال: «**اذهبوا إليه، فقولوا له خله ومسكنه**»، فأتوه فقال: أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم»[1].

وفي رواية عند الترمذي: «فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: «والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ففعل»[2].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ١١٤، ١١٥)، تفسير سورة المنافقين الآية (٨).

(٢) «سنن الترمذي» (٥/ ٤١٨) (ح٣٣١٥) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المنافقين. وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٧٢) وعزاه للحميدي في «مسنده». وأورده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٥٢).

علو همة الأنصار رضي الله عنهم في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره:

□ عن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: «لو أتيْت عبد الله بن أبيّ فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرضٌ سَبِخَة [(١)]، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نَتْنُ حِمارِك. فقال رجلٌ من الأنصار منهم: والله لحَمَارُ رسول الله أطيب ريحًا منك» [(٢)].

✍ يا لَعِظم الأنصار.. يقول أحدهم هذا لابن سلول الذي كانوا يعقدون له خرز التاج ليُنَصِّبوه ملكًا عليهم وقت هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.. فلما آمنوا وكفر، ما كان شيءٍ أعظم وأوقر في صدورهم من رسول الله ﷺ.

توقير أبي محذورة للنبي ﷺ وتعظيمه لآثاره:

كانت لأبي محذورة قُصَّة في مُقدَّم رأسه، إذا قعد وأرسلها وَصَلَت إلى الأرض، فقيل له: ألا تحلِقُها؟ قال: لم أكن بالذي يحلقها، وقد مَسَّها رسول الله ﷺ بيده [(٣)].

تعظيم سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه لِشَعْر رسول الله ﷺ:

□ وكانت لخالد بن الوليد رضي الله عنه قُلُنْسوة، فيها شَعَراتٌ من شَعْر

---

(١) السَّبِخَة: هي الأرض التي لا تنبت لملوحة أرضها.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»- كتاب الصلح- باب ما جاء في الإصلاح بين الناس (٥/ ٢٩٧- ٢٦٩١)، ورواه مسلم في «صحيحه»- كتاب الجهاد والسير- باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين.

(٣) «هذا الحبيب محمد» (ص٤٤٧) للشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

رسول الله ﷺ فسقطت منه في بعض حروبه، فشدَّ عليهم شدَّة، أنكرها عليه أصحابه؛ لكثرة مَن قُتِل فيها. فقال: «لم أفعلها من أجل القُلُنْسوة؛ بل لما فيها مِن شَعْر رسول الله ﷺ، لِئَلَّا أُسْلَبَ بركتها، وتقع في أيدي المشركين!!!»[(١)].

حُبُّ الصحابي البدري سواد بن غُزِيَّة رضي الله عنه وتوقيره لرسوله ﷺ:

□ يَا لَحُبِّ الصحابي الجليل سَوَاد بن غُزِية بن وهب[(٢)] لرسول الله ﷺ يترجم ذلك في معركة بدر.

في يوم بدر عدل رسول الله ﷺ الصفوف وفي يده قَدَح، فَمَرَّ بسواد ابن غُزِيَّة فطعنه في بطنه، فقال: «أَوْجَعتني فأَقِدْني، فكشف عن بطنه فاعتنقه وقبَّل بطنه، فدعا له بخير».

□ قال أبو عمر ابن عبد البر: «رُويت هذه القصة لسواد بن عمرو. قال الحافظ ابن حجر: لا يمتنع التعدُّد، لا سيما مع اختلاف السبب».

□ وفي رواية: «أنه لما كشف له عن بطنه فقبَّله وقال: أتركها لتشفع لي بها يوم القيامة، قال الحسن: «فأدركه الإيمان عند ذلك»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قالوا: هو من بليّ بن عمرو بن الحاف من قضاعة حليف الأنصار. وقالوا: بل هو من بني عدي بن النجار. وحكىٰ السهيلي تشديد الواو أي يُقال سوّاد. شهد بدرًا وأُحُد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

(٣) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٥١٦)، و«أسد الغابة» (ترجمة ٢٣٣٣)، و«الاستيعاب» (ترجمة ١١١٣)، و«الإصابة» (٣/ ١٨٠) (ترجمة ٣٥٩٥).

وسَوَاد بن عمرو الأنصاري رضي الله عنهما:

□ أخرج ابن سعد عن الحسن أن رسول الله ﷺ رأى سواد بن عمرو ملتحفًا فقال: «خط خط ورس ورس. ثم طعنه بعود أو سواك في بطنه، فماد في بطنه فأثَّر في بطنه – فذكر نحوه [١].

□ وأخرج عبد الرزاق [٢] عن الحسن قال: «كان رجل من الأنصار يُقال له: سوادة بن عمرو رضي الله عنه يتخلَّق [٣] كأنه عرجون، وكان النبي ﷺ إذا رآه نَغَضَ [٤] له، فجاء يومًا وهو متخلِّقٌ، فأهوى له النبي ﷺ بعُود كان في يده فجرحه، فقال له: القصاص يا رسول الله، فأعطاه العود – وكان على النبي ﷺ قَميصان- فجعل يرفعهما، فنهره [٥] الناس، وكفّ عنه حتى إذا انتهى إلى المكان الذي جرحه رمى بالقضيب وعلقه يقبِّله [٦]، وقال: يا نبي الله، بل أَدَعها لك تشفع لي بها يوم القيامة» [٧].

تقبيل أُسَيْد حُضير بن جسد رسول الله ﷺ:

• عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: «كان أُسيد بن حُضَيْر رضي الله عنه رجلًا صالحًا ضاحكًا مليحًا، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يُحدِّث

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٣/ ٥١٦).

(٢) «المصنف» لعبد الرزاق (٩/ ٤٦٩) (١٨٠٣٩).

(٣) أي: يتطيَّب بالخلوق، وهو طيب مُرَكَّب من زعفران وغيره.

(٤) نغض له: أي حرَّك رأسه.

(٥) أي زجروه.

(٦) أي: طفق يُقَبِّله.

(٧) «الإصابة» لابن حجر (٢/ ٩٦).

القوم ويضحكهم، فطعنه رسول الله ﷺ في خاصرته. فقال: أوجعتني، قال: «اقتص»[١]، قال: يا رسول الله إنَّ عليك قميصًا ولم يكن عليَّ قميص. قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه فاحتضنه، ثم جعل يقبل كشحه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أردتُ هذا»[٢].

□ وأخرج ابن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن القاريّ أنه نظر إلى ابن عمر رضي الله عنهما وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر، ثم وضعها على وجهه»[٣].

بأبي وأمي رسول الله ﷺ:

لقد جبل الله عز وجل نبيّه ﷺ على مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق، فإنه ﷺ كان أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالا، وأعظمهم عفوًا ومغفرة، كان لا يزيده شدة الجهل عليه إلَّا حلمًا، كما روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة «محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعينًا

---

(١) أي: خذ مني القصاص.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٨٨)، وابن عساكر، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥٦) و(٥٥٧)، انظر «كنز العمال» (٤/ ٤٣): وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. والكشح: الموضع الذي بين الإبط والخاصرة.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٥٤).

عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، حتى يقولوا: لا إله إلَّا الله».

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعًا لهم في دينهم ودنياهم وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثارًا على نفسه، وأشد الخلق ذبًا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعًا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه.

وكان أجود الناس صدرًا، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم ير قبله ولا بعده مثله ﷺ.

وقد خصه الله بصفتين خص بهما أهل الصدق والإخلاص وهما الإجلال والمحبة، فقد ألقى عليه هيبة منه ومحبة، فكان كل من يراه يهابه ويجله ويملأ قلبه تعظيمًا وإجلالًا، وإن كان عدوًا له، فإذا خالطه وعاشره كان أحب إليه من كل مخلوق، فهو المجل المعظم المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن من كل مخلوق، فهو المجل المعظم المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن بالتعظيم والهيبة، فالمحبة بلا تعظيم ولا هيبة ناقصة والهيبة والتعظيم من غير محبة -كما يكون الظالم القادر- نقص أيضًا، وكمال أن تجتمع المحبة والود والتعظيم والإجلال، وهذا لا يوجد إلَّا إذا كان في المحبوب

صفات الكمال التي يستحق أن يعظم لأجلها ويحب لأجلها»[(١)].

ولقد جمع الله تعالى لنبينا ﷺ من الصفات والخصائص ما لم يجمعه لبشر، وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه، وامتثال ما قرره في مفهومه ومنطوقه، والصلاة عليه والتسليم ونشر شريعته بالعلم والتعليم، وجعل الطرق مسدودة عن جنته، إلَّا من سلك طريقه واعترف بمحبته، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فيا سعد من وفق لذلك ويا ويح من قصر عن هذه المسالك[(٢)].

وما هذه المحبة والمهابة التي جعلها الله لنبيه ﷺ إلَّا تبع لمحبته سبحانه وإجلاله.

ذلك لأن كل محبة وتعظيم للبشر إنما هي تبع لمحبة الله وتعظيمه، فمحبة الرسول وتعظيمه إنما هي من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فأمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويبجلونه لإجلال الله له، فهي من موجبات محبة الله وتعظيمه، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب ولا أجل في صدره من رسول الله ﷺ في صدر أصحابه رضي الله عنهم.

فإذا كان هذا شأن النبي ﷺ، وهذه مكانته التي بوأه الله إياها، فحري بهذه الأمة أن تعرف له قدره وتعظم من شأنه وذلك بموجب ما شرعه الله وأمر به، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلَّا به.

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص٨٩- ٩٤) بتصرف.

(٢) «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (ص١١) بتصرف، و«حقوق النبي» (ص٤٤٥- ٤٤٦).

وهذا التعظيم والتوقير الواجب له ﷺ على كل فرد من أفراد هذه الأمة محله القلب واللسان والجوارح.

أما تعظيم القلب: فهو ما يتبع اعتقاد كونه عبدًا رسولًا، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، والتي من لوازمها الإكثار من ذكره الذي هو سبب لدوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها.

وكذلك فإن من تعظيم القلب استشعاره لهيبة النبي ﷺ وجلالة قدره وعظيم شأنه، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرًا لحقه من التوقير والتعزير، معترفًا به ومذعنا له.

فالقلب ملك الأعضاء وهي له جند وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتمًا لا محالة، وحينئذٍ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعه لشرعه وأوامره، ومؤدية لما له من الحق والتكريم.

أما تعظيم اللسان: فهو الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير.

□ ومن توقير النبي ﷺ بعد مماته طاعته والذب عن سنته، واتباعه، وتعظيم حديثه.

□ كان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت، وقال: «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ، ويرى أنه يجب الإنصاتُ عند قراءة حديثه، كما يجب ذلك عند سماع قوله ﷺ».

□ وما رُوي عن جعفر بن محمد الصادق: «أنه إذا ذُكِر عنده النبي ﷺ اصفرَّ وجهه، وما رُئي يحدث عن رسول الله ﷺ إلَّا على طهارة».

□ ومرّ مالك بن أنس – إمام دار الهجرة على أبي حازم وهو يحدِّث فجازه ولم يقف عنده، وعلل لذلك بقوله: «إني لم أرَ موضعًا أجلس فيه، فكرهتُ أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إذا أراد أن يُحدِّث عن رسول الله ﷺ، اغتسل وتطيَّب، ولبس أحسن ثيابه، ثم خرج فحدَّث»[1].

ومن توقيره ﷺ بعد مماته توقير آله وذريته وأزواجه رضي الله عنهم:

إن من توقير النبي ﷺ ورعاية جنابه وتبجيله وتعظيمه توقير آله وذريته وأزواجه، كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

١- فآل بيت النبي ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقًّا في الفيء قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنفال].

* وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الحشر: ٧].

وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ ففي الحديث عن

---

(١) «هذا الحبيب محمد ﷺ» (ص٤٤٦).

كعب ابن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟

قال: قولوا: «**اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(١).

فالصلاة على آل محمد حق لهم عند المسلمين، وذلك سبب رحمة الله تعالى لهم بهذا النسب.

كما تجب محبتهم لحب رسول الله ﷺ لهم، ولأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ.

وأن نتولاهم ونحفظ فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال في يوم غدير خُم: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي..**» الحديث (٢).

□ قال ابن كثير رحمه الله: «ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٥٣٢). وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد. انظر: (٢/ ١٦).

(٢) تقدم تخريجه.

كالعباس وبنيه وعليّ وأهل بيته وذريته ﷺ»[١].

□ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أن لآل محمد ﷺ حقًّا على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش، كما أن قريشًا يستحقون من المحبة والموالاة ما لا يستحقه غير قريش من القبائل، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم، وفضل قريش على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره»[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١٣).

(٢) هذا من تفضيل الجملة علىٰ الجملة وهو لا يقتضي تفضيل كل فرد علىٰ كل فرد، فالعرب في الأجناس، وقريش فيها ثم هاشم في قريش مظنة أن يكون فيهم من الخير أعظم مما يوجد في غيرهم. ولهذا كان في بني هاشم النبي ﷺ الذي لا يماثله أحد في قريش فضلاً عن وجوده في سائر العرب وغير العرب، وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في العرب وغير العرب، وكان في العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس.

فلا بد أن يوجد في الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله في المفضول. وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء، والمؤمنين المتقون من غير قريش أفضل من القرشين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوىٰ، وكذلك المؤمنين المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوىٰ من بني هاشم.

فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب دون من ألغىٰ فضيلة الأنساب مطلقًا، =

• والنصوص دلت على هذا القول، كقوله ﷺ: «**إن الله اصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**»(١).

٢- أما زوجات النبي ﷺ رضوان الله عليهن أجمعين فيجب علينا أن نحفظ لهن حقهن في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام،

ودون من ظن أن الله تعالىٰ يفضل الإنسان بنسبه علىٰ من هو مثله في الإيمان والتقوىٰ، فضلاً عمن هو أعظم إيمانًا وتقوىٰ، فكلا القولين خطأ وهما متقابلان، بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة، وفضيلة لأجل المظنة والسبب.

والفضيلة بالإيمان والتقوىٰ فضيلة تعيين وتحقيق وغاية.

فالأول: يفضل به لأنه سبب وعلامة؛ ولأن الجملة أفضل من جملة تساويها في العدد.

والثاني: يفضل به لأنه الحقيقة والغاية، ولأن كل من كان أتقىٰ لله كان أكرم عند الله، والثواب من الله يقع علىٰ هذا؛ لأن الحقيقة قد وجدت، فلم يعلق الحكم بالمظنة، ولأن الله تعالىٰ يعلم الأشياء علىٰ ما هي عليه، فلا يستدل بالأسباب والعلامات فالاعتبار العام هو التقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. فكل من كان أتقىٰ كان أفضل مطلقًا، وإذا تساوىٰ اثنان في التقوىٰ استويا في الفضل سواء كانا أو أحدهما عربيين أو أعجميين، أو قرشيين أو هاشميين أو كان أحدهما من صنف والآخر من صنف، وإن قدر أن أحدهما له من سبب الفضيلة ومظنتها ما ليس للآخر، فإذا كان ذلك قد أتىٰ بحقيقة الفضيلة كان أفضل ممن لم يأت بحقيقتها، وإن كان أقدر علىٰ الإتيان بها، فالعالم خير من الجاهل، وإن كان الجاهل أقدر علىٰ تحصيل العلم. انظر: «منهاج السنة» (٤/ ٦٠٢- ٦٠٣- ٦٠٤- ٦٠٨) بتصرف. انظر «حقوق النبي ﷺ» (ص٢٥٥) وما بعدها .

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ (٧/ ٥٨).

والمكانة التي جعل الله لهن.

فلقد رفع الله مقامهن وبوأهن أعلى منزلة عند جميع المؤمنين وهي منزلة الأمومة، فجعلهن أمهات في التحريم والاحترام فقد قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[الأحزاب: ٦].

□ قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: «شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن رضي الله عنهن، بخلاف الأمهات»[1].

وكيف لا تكون لهن هذه المنزلة وتلك المكانة وهن اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عندما نزلت آيتا التخيير قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب].

وبعد اختيارهن رضي الله تعالى عنهن الله ورسوله والدار الآخرة كرمهن الله تبارك وتعالى وكافأهن على اختيارهن أحسن تكريم وأعظم مكافأة.

فكان لهن ما أعدَّ الله لهن من الأجر العظيم، ثم ميَّزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر، ثم أبان منهم فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، يعني: في الفضل والشرف، وذلك لِمَا منحهن الله من صحبة نبيه ﷺ وعظيم المحل منه ونزول القرآن في

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٢٣).

حقهن»[(١)].

فمن حقهن علينا أن نحفظ لهن هذه المكانة وذلك بأن نتولاهن وأن نثني عليهن بما ورد من فضائلهن وما كان لهن من دور في مؤازرة النبي ﷺ ونصرته، وما كان لهن من دور بعد وفاته في حفظ مسائل الدين ونشرها بين الأمة.

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان له منها المنزلة العالية.

• والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، التي قال فيها النبي ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[(٢)]..»[(٣)].

فمن الواجب أن ننشر هذه الفضائل ونعلمها وبخاصة لنسائنا حتى يكون لهن في ذلك الأسوة والقدوة.

توقيره ﷺ في توقير أصحابه رضي الله عنهم:

ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء

---

(١) المصدر السابق (١٤/ ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها. «فتح الباري» (٧/ ١٠٦) (ح٣٧٧٠).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٧/ ١٣٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٤)، وانظر: «حقوق النبي» (ص٤٥٧- ٤٥٩).

بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين، وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم، وأن نلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج، إذ هم أهل لذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص [١] عليه أمر، بل يذكر حسناتهم وفضائلهم، وحميد سيرتهم، ويسكت عما وراء ذلك [٢].

فهم أناس قد اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إلى النبي ﷺ وسماع حديثه من فمه الشريف وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه وتبليغ ما بعث الله به رسوله من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام والدعوة إليه، ولهم من الأجر مثل أجور من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل: المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين.

---

(١) لا يغمص: لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره. «النهاية» (٣/ ٣٨٦).
(٢) «الشفا» (٣/ ٦١١، ٦١٢).

فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم وثناء رسوله ﷺ.

□ قال النووي: «الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به»(١).

□ وقال ابن حجر: «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلَّا شذوذ من المبتدعة»(٢).

□ وعن أبي زرعة قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق وإنما أدي إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(٣).

فهم الأئمة العالي، ومعرفتهم لقدر الصحابة رضي الله عنهم:

معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟

سُئِل الإمام أحمد بن حنبل: أيُّما أفضل، معاوية أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: «لغبارٌ لِحق بأنف جواد معاوية بين يديْ رسول الله ﷺ خيرٌ من عمر بن عبد العزيز»(٤).

□ وسُئِل ابن المبارك عن معاوية فقيل له: ما تقول فيه؟ قال: «ما

---

(١) «تدريب الراوي» للسيوطي (٢/ ٢١٤).
(٢) «الإصابة» (١/ ١٧).
(٣) «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص٩٧).
(٤) «شذرات الذهب» (١/ ٦٥).

أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: «**سمع الله لمن حمده**»، فقال معاوية من خلفه: ربنا ولك الحمد، فقيل له: ما تقول في معاوية؟ هو عندك أفضل أم عمر ابن عبد العزيز؟ فقال: لترابٌ في منخريْ معاوية مع رسول الله ﷺ خيرٌ أو أفضل من عمر بن عبد العزيز». وفي «البداية والنهاية»: خيرٌ وأفضل»[(١)].

□ وسُئِل ياقوته العلم والعباد المعافي بن عمران: أيُّهما أفضل معاوية ابن أبي سفيان أو عمر بن عبد العزيز؟

فكأنه غَضب، وقال: «يومٌ من أيام معاوية أفضل من عمر بن عبدالعزيز، ثم التفت إلى الرَّجُل فقال: تجعلُ رجلًا من أصحاب محمد ﷺ مثل رجل من التابعين؟!»[(٢)].

□ وقال المعافي: «لا يُقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ، معاوية صاحبه، وصهره، وكاتبه، وأمينه على وحي الله عَزَّوَجَلَّ»[(٣)].

□ وسُئِل الفضل بن عنبسة: «معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟

فعجب من ذلك، وقال: «سبحان الله، أأجعل من رأى رسول الله ﷺ كمَنْ لم يره؟! قالها ثلاثًا»[(٤)].

□ وقال أبو إسحاق السبيعي: «كان معاوية وكان ما رأينا مثله» وما استثنى أبو إسحاق عمر بن عبد العزيز.

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٧- ٢٠٨).

(٢) المصدر السابق (٥٩/ ٢٠٨).

(٣) «تاريخ بغداد» (١/ ٢٠٩، ٢١٠)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٨)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٤٨).

(٤) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٨).

□ وقال مجاهد: «لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي»[١].

□ وقال ابن المبارك: «معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إلى معاوية شَزْرًا، اتَّهمناه على القوم، أعني على أصحاب محمد ﷺ»[٢].

□ وقال الربيع بن نافع: «معاوية بن سفيان سِتْر أصحاب النبي ﷺ، فإذا كشف الرَّجُل الستر اجترأ على ما وراءه»[٣].

□ وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا رأيتَ الرجل يذكرُ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»[٤].

ومن تعظيم النبي ﷺ تعظيم المدينة وحفظ حُرْمَتها:

إن من تعظيم النبي ﷺ تعظيم المدينة النبوية [٥] التي هي دار المصطفى ومهاجره، فقد اختارها الله لنبيه ﷺ قرارًا، وجعل أهلها شيعة له وأنصارًا.

وهي التي انتشر منها دين الله وسنة رسوله ﷺ حتى وصل مشارق الأرض ومغاربها.

وهي التي ورد في فضلها وتعظيم شأنها وتحريمها وفضل بعض البقاع فيها الكثير من الأحاديث الثابتة الصحيحة والتي أورد منها ها هنا

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٣)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ١٧٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٨)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩).

(٣) «تاريخ بغداد» (١/ ٢٠٩)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩).

(٤) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩).

(٥) ذكر ذلك البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٢/ ١٣٠)، والقاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٦١٩).

على سبيل المثال لا الحصر.

• فعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون**[1] **فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.**

وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[2].

• وعن عبد الله بن زيد بن عاصم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة**»[3].

• وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها**».

---

(١) يُقال: بسست الناقة وأبسستها إذا سُقتها وزجرتها وقلتُ لها: بس بس بكسر الباء وفتحها انظر «النهاية» (١/ ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة «واللفظ له». انظر: «فتح الباري» (٤/ ٩٠) (ح١٨٧٥).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار (١٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ﷺ ومده. «فتح الباري» (٤/ ٣٤٦) (ح٢١٢٩). وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب فضل المدينة «واللفظ له» (٤/ ١١٢).

وقال ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلَّا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلَّا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللَّهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللَّهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه»، قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر (٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف»(٣).

• وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم -كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٣).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٦- ١١٧).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٦).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة. انظر: «فتح الباري» (٤/ ٩٣) (ح١٨٧٦).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا =

• وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلَّا انماع كما ينماع الملح في الماء**»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلَّا المسجد الحرام**»(٢).

• وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»(٣).

والأحاديث في فضل المدينة كثيرة ومتنوعة، ولقد أفرد البخاري في «صحيحه» كتابًا لفضائل المدينة، وكذا مسلم في «صحيحه» قد أورد في آخر كتاب الحج العديد من الأحاديث الواردة في شأن المدينة، وكذا الحال عند أصحاب السنن والمسانيد.

والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حرمها، وهذا أمر واجب في

(١/ ٩٠، ٩١).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، انظر: «فتح الباري» (٤/ ٩٤) (ح١١٩٠).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله (٤/ ١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. انظر: «فتح الباري» (٣/ ٦٣) (ح١١٩٠).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل المدينة، باب ١٢ انظر: «فتح الباري» (٤/ ٩٩) (ح١٨٨٨)، أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب ما بين القر والمنبر روضة من رياض الجنة (٤/ ١٢٣).

حق من سكن بها أو دخل فيها، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها؛ وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله ﷺ.

فإنها المواطن التي عمرت بالوحي والتنزيل، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنن رسول الله ﷺ ما انتشر، فهي مشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات.

فحري بمن أكرمه الله بالإقامة فيها أن يتزود فيها من الأعمال الصالحة التي تنفعه بعد الموت، وأن يحذر من الوقوع فيها بما يسخط الله ﷻ.

وفيما سبق ذكره من الأحاديث خير شاهد على فضل سكناها والترغيب في الإكثار من العمل الصالح فيها، والتحذير من الإساءة والمعصية والإفساد فيها»[1].

□ قال الإمام مالك إمام دار الهجرة: «من قال تربة المدينة رديئة، يُضَرب ثلاثين دُرَّة ويُحبَس».

وقال: «ما أحوجه إلى ضرب عنقه!! تربةٌ دُفِن فيها رسول الله ﷺ يزعم أنها رديئة!!!»[2].

□ ولله درُّ القائل:

هاتِ الحديثِ مِزاجُه الأشواقُ وَصِفِ الحبيب فَكُلُّنا تَوَّاقُ

---

(١) «حقوق النبي ﷺ» (ص٤٦٥- ٤٦٧).

(٢) «هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ» (ص٤٤٧).

تَهْوَى الحُروفَ تَعطَّرَتْ أرْدَانُها ... بِشَذَا الأحبَّةِ.. والهَوى أذواقُ
فغَدا يُحَدِّثُ عن جلالِ المُصْطَفَى ... فتوضأتْ بِدُمُوعِها الأحداقُ
يَحْكِي بشوقٍ عن جمالِ محمَّدٍ ... أَحْلَى اللُّغَى ما قالتِ الأشواقُ
عن قلبهِ عن حُبِّهِ عن لطفِهِ ... عن كل ما قد جَادتِ الأخلاقُ
تحيا بذكرِ محمدٍ ترنيمةٌ ... في القلب تسرِي والهوى خَفَّاقُ
طُوبى لمن عن نهجه لم يَغْفَلوا ... يومًا، وذاقوا في الهوى ما ذاقوا
طوبى لمن في دربه قد أوغلوا ... ناموا على أحلامهم وأفاقوا [1]

□ ولله در القائل:

إمامَ المُرسلين فِدَاكَ رُوحي ... وأرواحُ الأئمةِ والدُّعاةِ
رسولَ العالمين فِداكَ عِرْضِي ... وأعراضُ الأَحِبَّةِ التُّقاةِ
ويا عَلَمَ الهُدَى يفديك عُمْري ... وما لي.. يا نبيَّ المَكْرُماتِ!!!
ويا تاج التُّقَى تفديكَ نفسي ... ونفسُ أُولي الرئاسة والوُلاةِ
فِدَاك الكونُ يا عَطِرَ السَّجَايا ... فَمَالِ الناسِ دونكَ من زكاةِ
فَأَنتَ قَدَاسَةٌ إمَّا استُحِلَّتْ ... فذَاك الموتُ مِن قبل المماتِ!!!
وعِرضُكَ عِرْضُنَا ورُؤاك فينا ... بمنزلةِ الشَّهادة والصَّلاةِ
رُفِعْتَ منازِلًا.. وشُرِحتَ صَدْرًا ... ودينُك ظاهِرٌ رَغْمَ العُدَاةِ
وذِكرُك يا رسولَ الله زادٌ ... تضاءُ به أساريرُ الحياةِ
وغَرْسُك مثمِرٌ في كل صَقْعٍ ... وهَدْيُكَ مُشرِقٌ في كُلِّ ذاتِ

(١) للدكتور عبد المعطي الدالاتي.

فمنك شريعتي.. وسكونُ نفْسي ... ومنـك هُـوِيَّتي.. وسـموُّ ذاتِـي
ولـــي فيـــك اهتـــداءٌ ... لأخـلاقِ العُـلَا والمكْرُمـاتِ
ومنكَ دعـاءُ إمـسائي وصَـحْوي ... وإقبـالي وغمْـضي والتفَـانِي
يحـارُ اللفـظُ في نَجْـواكَ عَجْـزًا ... وفي القلـبِ اتِّقـادُ المُورِيـاتِ
ولـو سُـفِكتْ دمانـا مـا قَـضيْنَا ... وفـاءَكَ والحقـوقَ الواجبـاتِ[1]

(١) لصالح بن علي العمري.